

الباب الرابع

التحليل التصوف بالقراءة الإرشادية و القراءة التفسيرية في النص

الدرامي إرم ذات العماد لخليل جبران

سيحلّ هذا الباب جوانب التصوف و تفسيره للنص الدرامي إرم ذات

العماد لخليل جبران باستخدام سيميائية ميشيل ريفاتير (Michael Riffaterre)،

أي القراءة الإرشادية والقراءة التفسيرية.

القراءة الإرشادية في النص الدرامي إرم ذات العماد تهدف إلى

اكتشاف معنى (*meaning*) اللغة، الذي يتم عن طريق قراءة تسلسلياً من

البداية إلى النهاية. القصة بحبكة الفلاش باك يمكن قراءتها في حبكة تقدمية.

هذه قراءة مرحلة تنتج علامات أي الأحداث المتعاقبة زمنياً.

بعد القراءة الإرشادية التي تنتج معنى (*meaning*) النص الدرامي عموماً وفقاً لنظام سيميائية المستوى الأول، ثم للحصول على معنى الأدب (*significance*)، وينبغي إعادة قراءة نص درامي إرم ذات العماد (*retroactive*) بإعطاء تفسير. وتتم القراءة بالنظر في العناصر التي لا تظهر في النص، معاني ضمنية، مفهومية أو مغزى على أساس القراءة الإرشادية. في هذه الحالة، ستركز القراءة التفسيرية في النص الدرامي إرم ذات العماد على جوانب التصوف.

أ. القراءة الإرشادية في النص الدردي إرم ذات العماد

كما هو موضح في الباب السابق، فإن الحبكة في دراما إرم ذات العماد هي المختلطة يتم ترتيبها تقدمياً، ولكن هناك فلاش باك. ولذلك، قراءة إرشادية في هذا النص الدرادي تقرأ بحبكة تقدمية لارجع تسلسل الأحداث

في ترتيب زمني. وفيما يلي قراءة إرشادية في النص الدرامي إرم ذات العماد
لخليل جبران.

يوم واحد، قرر نجيب رحمة البحث عن آمنة العلوية. انه يريد أن
يثبت حقيقة الحكاية المتداولة في الجمهور أن آمنة العلوية قد دخلت
إلى المدينة الخفية إرم ذات العماد. في منزل قديم في الغابة، التقى
نجيب مع زين العابدين، معروف بالصوفي من فارس الذي يحدث
لمعرفة آمنة العلوية. من خلال زين العابدين، عرف نجيب الكثير عن
آمنة بالإضافة إلى قصة حياة تلك المرأة، وبالتالي زيادة الرغبته في
تلبية مباشرة مع آمنة.

ويحكى زين العابدين أن آمنة العلوية هي ابنة الشيخ عبد الغني
الضريير المشهور بالعلوي فقد كان إمام زمانه في العلوم الباطنية
والتصوف. عندما كانت في الخامسة والعشرين من عمرها، أخذ

والدها آمنة في لأداء فريضة الحجّ. ومع ذلك، كان والدها الضير
بالحمى وتوفي في الرحلة. لمدة سبع ليالٍ تناجى آمنة مع رُوح والدها،
وتستكشفها أسرار الغيب وتتعلم منها عمّا وراء الحجاب. في الليلة
السابعة أوحى إليها روح والدها أن تطلق راحلتها وأعطى
التوجيهات لها. ثم واصلت آمنة رحلتها إلى قلب الجزيرة المعروف
باسم "الربع الخالي" الذي لم تخترقه قافلة. لذلك أمّا الحجّاج فظنّوا
أنّها تاهت في تلك القفار وقضت جوعاً.

وبعد خمسة أعوام ظهرت آمنة العلوية في الموصل وسافرت من
مدينة إلى أخرى. تنشر آمنة الهدوء في الروح وتشعل النور في قلوب
الناس في كل المدن التي زارها. تحدثت آمنة عن الأمولرمانية
وتصف لهم مشاهد إرم ذات العماد بفصاحة. أصبحت آمنة شهيرة
وكتعدد أتباعها ومريديها. لكن أئمة الدين وشيوخ العلم في كل

مدينة عارضوا آمنة واشتكوا إلى الحكام، وطلبوا من آمنة مغادرة
المدينة بجيراً، طلبت نفسها العزلة فجاءت إلى هذا الغابة، الزاهدة،
متعبدة، ومنصرفه عن كل شيء سوى للتعق الأسرارانية.

بعد الانتظار، التقى نجيب أخيراً مع آمنة العلوية. كان نجيب
وزين العابدين العصبي للغاية عند مواجهة مباشرة مع تلك المرأة،
وكأنهما يواجهان أحد رسل الله. خلال الاجتماع، آمنة رجحت نجيب
أن تسأل قدر استطاعته عن ما يريد معرفته.

طلب نجيب توضيحاً حول حكاية دخولها آمنة إلى مدينة إرم
ذات العماد وأراد معرفة المزيد عن المدينة الذهبية. وصفت آمنة أنها
دخل مدينة المخفية إرم ذات العماد بجسدها وروحها. ويمكن تحقيق
إرم ذات العماد عندما تكون العينان مغلقة، بحيث ترى الرؤية
الداخلية العالم بكل عناصره. الجميع قادر على إغلاق عينيه ورؤية

حقيقة الحياة، حيث أن الله يعطي البشر القدرة على التسول والأمل من كل قلبهم، حتى يكشف الله عن الحجاب من وجهة نظرهم. حتى يتمكنوا في النهاية من رؤية هويتهم ويكونوا قادرين على رؤية الحقيقة العارية المجردة للحياة.

واستناداً إلى خبرتها، استمرت آمنة أن إرم ذات العماد موجدة في باطن نجيب. كل ما في الوجود كائن في باطنه وكل ما في باطنه موجود في الوجود. تماماً مثل في ذرة واحدة تحتوي على جميع عناصر الأرض. ففي قطرة الماء الواحدة تحتوي على جميع أسرار البحر. وكمية صغيرة من وجود الذات تحتوي على جميع جوانب وجود الحياة.

نجيب الفضول جدا طرح الأسئلة مرة أخرى وفيما يتعلق حالة آمنة رحلة إلى مدينة إرم ذات العماد. وصفت آمنة أنها خلال الرحلة

عانت من معاناة النفس والجسد حتى تمكنت أخيراً من رؤية مدينة
إرم ذات العماد. وقد سار لعدة أيام في المكان المعروف بالربع الخالي
في قلب الجزيرة، وروح والدها يظهر اتجاه السفر للوصول الى المدينة
الخفية إرم ذات العماد. واصلت آمنة أنها في الواقع الكثير من الناس
الذين قد وصلت إلى المدينة المقدسة من الله دون تصعيد القدم ودون
أن يعاني على النحو نفسها.

يصرخ زين العابدين بصوت رحيم الصلاة بعد سماع كلمات آمنة،
فقال نجيب دون وعي، "لا إله إلا الله!". تصرخ آمنة: "لا إله إلا
الله، لا شيء إلا الله"، وأخبر نجيب أنه يستطيع أن يقول تلك
الكلمات ويبقى مسيحياً. ثم آمن نجيب بإله واحد، وحتى نهاية
حياته، استمر نجيب في الإيمان به.

ثم سأل نجيب عن آمنة التي تحدثت الكلمة بروح والدها وكيفية التواصل بين روحه وروح شخص مات. وأوضحت آمنة أن روح والدها التقت بها عندما استدعت روحها روح والدها، وكشفت كل شيء كان تعرف للعاقلة الباطنية. كما الشوق والحنين التي شعرت آمنة حتى إحضارها إلى مدينة الذهب.

مرة واحدة راض أن نسأل، طلب نجيب إذن من آمنة لإعلام الناس عن كل الحقيقة أوضحت آمنة له. سيقول نجيب للجمهور، أن مدينة إرم ذات العماد هي مدينة حقيقية، كائنة بكيان الجبال والغابات والبحار والصحارى، جبابرة الدهور قد بنوا إرم ذات العماد من عناصر الوجود، ولم بحبونها عن الناس ولكن الناس حجبوا نفوسهم عنها. وآمنة العلوية قد وصلت إليها من خلال الشوق والمحبة له عن طريق تمرير باب الإيمان.

وأخيراً، بعد رحيل آمنة، عاد نجيب وزين العابدين إلى المستوطنة
بسرور وارتياح.

ب. القراءة التفسيرية في النص الدرامي إرم ذات العماد

بعد القراءة الإرشادية، فإن الخطوة التالية هي قراءة إعادة بإعطاء
تفسير. وفيما يلي نتائج القراءة التفسيرية للنص الدرامي إرم ذات العماد.

١. رحلة إلى إرم ذات العماد

بالطبع لدى خليل جبران عدد من الأسباب لاستخدام رمز
إرم ذات العماد كعنوان رئيسي ورمز في هذه الدراما. من المعروف أن
إرام مدينة رائعة بناها بالعاد. يقال إن ملك شداد بن عاد هو من
يجب قراءة الكتب المقدسة التي تم الكشف عنها للأنبياء. في كل مرة
يقرأ عن قصة حديقة السماء، كان مهتماً ببناء حديقة تشبه حديقة
الجنة. أمر آلاف الوزراء والمهندسين المعماريين لبناء إرم ذات العماد.

بعد اكتمال عملية البناء، صعد ملك الشداد نقالة مزينة بالذهب والفضة والماس وياقوت مع موكب كبير يؤدي إلى مدينة أحلامه. عندما اقتربت المجموعة من المدينة، أراد الله سبحانه وتعالى أن تقوم الملائكة بتدميرها. حتى أخيراً، لم يدخل أي فرد مدينة الجنة وحتى الآن ما زالت المدينة في سر الله.⁷⁵

في الدراما، من المعروف أن آمنة علوية قد وصلت إلى مدينة إرم ذات العماد من خلال سلسلة من الرحلات، كما يلي:

زين العابدين : ... ولما بلغت الخامسة والعشرين خرج بها لأداء فريضة الحجّ. ... (ص. ١١٨)

كحوار أعلاه، كلمة "الحجّ" أو الحج إلى الأرض المقدسة، التي

إذا فسرتومزيّاً، تعني القيام برحلة مقدسة من عالم الناسوت إلى

⁷⁵ Ach. Farihin Ali, "Iram, Surga Dunia Yang Hilang", artikel diakses pada 25 September 2018 dari <http://majalahlangitan.com/iram-surga-dunia-yang-hilang-2/2013/0610/>

عالم الملكوت أو من الذات الجسدية إلى النفس الروحية التي هي
المعنى الروحي للرحلة أداء الحجّ. الحجّ هو فعل للمجاهدة لاكتساب
الوعي بالمشاهدة. هذه هي عملية المثابرة لدى الخادمة لزيارة المدينة
المقدسة كوسيلة لمحاولة مقابلة الله.⁷⁶

قامت أمنة العلوية مع والدها بتنفيذ رحلة الحجّ يعني
كالمجاهدة، أي الجهد الروحي في ترك والتخلي عن الذات المتدنية التي
تهدف إلى اكتساب الوعي بالمشاهدة.

زين العابدين : ... ولما قطعاً بادية الشام وأصبحا على بعد
ثلاث مراحل من المدينة المنورة بلي الضير بالحمى وتوفي فدفتته ابنته
في لحف جبل هناك وجلست على قبره سبع ليال تناجي روحه
وتستكشفها أسرار الغيب وتستعلم منها عما وراء الحجاب. وفي
الليلة السابعة أوحى إليها روح والدها أن تطلق راحلتها وتحمل زادها
على عاتقها وتسير من ذلك المكان إلى البحنوب الشرقي، ... (ص.
١١٧-١١٨)

⁷⁶ Miftahul Ula, "Simbolisme Bahasa Sufi: Kajian Hermeneutika Terhadap Puisi Hamzah Fansuri", Religia Vol. 19, No. 2 (Oktober 2016), hlm. 38

بعد من المدينة المنورة والدها بالحمى وتوفي، فدفنته آمنة
وانتظرت قبر والدها لمدة سبع ليال. خلال ذلك، كانت أمينة تناج
بروح والدها، وتستعلم عن أسرار الغيب وراء الحجاب.
في الحوار أعلاه، تعني كلمة "أسرار الغيب" سر أو جوهر ما
شيء. في التصوف، "أسرار" هو أداة لشخص ما ليكون قادرا على
رؤية الله.⁷⁷ "أسرار" مختبئ في الوعي الباطنية التي تمر بين مركز روح
خادم مقدس وإلهه. بينما تعني كلمة "الحجاب" في التصوف حجاباً ما
يمنع العلاقات الإنسانية مع الله.⁷⁸ يمكن النظر إلى كل شيء آخر
غير الله كحاجز للعلاقة.⁷⁹

العلوية : ... لقد ناجتني روح والدي لأن روحي ناجتنيها
وأوحت إلى عاقلتي الخارجية ما كانت تعرفه عاقلتي الباطنية. . .
(ص. ١٣٣)

⁷⁷ Asmaran As, *Pengantar Studi Tasawuf*, Cet. ke-2 (Jakarta: RajaGrafindo, 2002), hlm. 396

⁷⁸ Amatullah Armstrong, *Sufi Terminology (Al Qamus Al Sufi): The Mystical Language of Islam*, terj. M.S. Nasrullah dan Ahmad Baiquni, (Bandung: Mizan, 1996), hlm. 40

⁷⁹ Asmaran As, *op.cit.*, hlm.381

يشرح الحوار أعلاه أنه أثناء انتظار قبر الوالد، اجتمع روح آمنة بروح والدها، لسبع ليالٍ، تلتقي الأرواح وتساءل أسرار الغيب لتتمكن من رؤية الله من خلال كشف الحجاب الذي يعيق البشر والله، حيث تعرف الأسرار فعلياً من خلال الوعي الباطنية أو عاقلها اباطنية.

وبعد ذلك، والدها كمرشد، يبين اتجاه الرحلة إلى آمنة العلوية، أي الجنوب الشرق، عبر البادية الخالية "الربع الخالي"، بعد أن دخل أخيراً مدينة الله، إرم ذات العماد.

العلوية : أجل قد قطعنا الصحارى وقاسينا الجوع والعطش وخبرنا مخاوف النهار ورمضاءه وأهوال الليل وسكنته قبل أن رأينا أسوار مدينة الله. ولكن قد بلغ مدينة الله قبلنا من لم يسر خطوة، وعرف جمالها وبهاءها من لم يختبر جوعاً في الجسد أو عطشاً في الروح. إي والحق لقد طاف في المدينة المقدسة إخوان لنا وأخوات دون أن يخرجوا من المنازل التي ولدوا فيها. . . . (ص. ١٢٧)

يوضح الحوار أعلاه أن أمنة العلوية لا تعتمد فقط على القلب في السفر إلى مكان ما. على الرغم من أن القلب حسب الصوفية هو عضو استعده الله للتفكر والوحدة مع المطلق، لذلك من الممكن السفر إلى أي مكان. كما اقتبس، "ولكن قد بلغ مدينة الله قبلنا من لم يسر خطوة". ومع ذلك، فإن آمنة، بالإضافة إلى تستخدم "الحواس الغامضة" للتواصل مباشرة مع الإلهية، ولكن أيضًا فعل ذلك جسدياً، وهي رحلة طويلة جداً.

العلوية : . . . فلولا جوعي وعطشي لما حصلت على الخبز والماء، ولولا شوقي وحنيني لما لقيت موضوع شوقي وحنيني. (ص. ١٣٣)

نجيب : . . . إرم ذات العماد مدينة أحلام روحية وإن آمنة العلوية قد سارت إليها على سبيل الشوق ودخلتها من باب الإيمان؟
العلوية : قل إن إرم ذات العماد مدينة حقيقية كائنة بكيان الجبال والغابات والبحار والصحارى وقل إن آمنة العلوية قد وصلت

إليها بعد أن قطعت البادية الخالية وقاست ألم الجوع وحرقة العطش
وكآبة الوحدة وهول الانفراد. . . (ص. ١٣٧)

تشرح الحوارات أعلاه أن آمنة لعلوية دخلت إرم ذات العماد
بعد تجربة "الجوع والعطش"، وهو استعارة صوفية لشرح "الشوق
والحنين" في الطريق إلى الله. يستخدم جبران كلمة "شوق" التي تعني
الحالة النفسية التي ترافق المحبة، وهي الشوق الذي يشع من القلب
بسبب زيادة الحب الحقيقي. سوف المعرفة العميق من الله يسبب
المتعة والعاطفة. متعة عاطفي تلد الحب وسوف تنمو الشوق. يتوق
لللقاء، كل نبضات القلب، نبضات القلب والتنفس، والذاكرة هي
فقط لله، هذا هو الشوق.^{٨٠} أصبحت هذه الحالة هي القوة الدافعة

⁸⁰ *Ibid*, hlm. 146

لآمنة العلوية لتكون أقرب ما يمكن إلى الله، بالإضافة إلى الإيمان
وبعد رحلة متعبة مليئة بالمعاناة والمحاکمات والإغراءات.

٢. مدينة إرم ذات العماد

بعد جهد بحث من خلال سلسلة من الرحلات، وصلت آمنة
العلوية أقييراً إلى مدينة أحلام إرم ذات العماد، على الحوار التالي.

العلوية - ترفع رأسها وتغمض عينيها وبصوت يخاله نجيب آتيا من
قلب الفضاء تقول : أجل قد بلغنا المدينة المحجوبة ودخلناها وأقمنا
فيها وملأنا روحنا من أريجها وقلبنا من أسرارها وجيوبنا من لؤلؤها
وياقوتها، فمن ينكر علينا ما شاهدناه وعرفناه كان ناكراً لذاته أمام
الله. (ص. ١٢٤)

الحوار أعلاه هو تمثيل على إنجاز آمنة العلوية في المدينة الخفية،
إرم ذات العماد. جبران من خلال الحوار أعلاه، يريد أن يصف

الوجد العميق عندما حَقَّقت أمانة إلى المعرفة، وهي حالة آمنة عندما دخل إرم ذات العماد الذي كان تمثيل باقتباس "ملاَّتنا روحنا من أريجها وقلبنا من أسرارها". حالة الوجد هو حالة روحية حيث فقدان الوعي والنفس عند مشاهدة أسرار الخلق. يمكن أن يشعر قلبهم أيضاً بأن الله زرع الحب في قلب كل إنسان منذ بداية الخليقة.⁸¹

بناء على الحوار أعلاه، شهدت آمنة تجلي الرب في قلبها. في هذه الحالة، مدينة إرم ذات العماد هي تجلي الله. يعني "تجلي" أن الله يكشف عن نفسه إلى مخلوقاته، في شكل ضوء الباطنية التي تخرق القلب. وهي العلامات أن الله زرع في الجنس البشري حتى يمكن يشاهد الله.⁸² لأن الله غير المادي، بل يشمل جميع الأوجد. كما هو الحال مع كل الأشياء الموجودة في الكون، وهي تجلي الله.

⁸¹ Abdul Hadi WM, *Tasawuf yang Tertindas: Kajian terhadap karya-karya Hamzah Fansuri*, (Jakarta: Paramadina, 2001), hlm. 48

⁸² Amatullah Armstrong, *op., cit.*, hlm. 280

العلويّة : كلّ مكان وزمان حالة روحيّة. وكلّ المرئيات والمعقولات
حالات روحيّة. فإنّ أغمضت عينيك ونظرت في أعماق أعماقك
رأيت العالم بكلياته وجزئياته وخبرت ما فيه من النواميس وعلمت ما
يلازمه من الذرائع وفحمت ما يتلمسه من المحجّات. أجل أنّك إذا
أغمضت بصرك وفتحت بصيرتك رأيت بداية الوجود ونهايته، تلك
النهاية التي تصير بدورها بداية وتلك البداية التي تتحوّل إلى نهاية.
العلويّة : يستطيع كلّ إنسان أن يتشوّق ثمّ يتشوّق ثمّ يتشوّق
حتى ينزع الشوق نقاب الظواهر عن بصره فيشاهد إذ ذاك ذاته. ومن
ينرّ ذاته يرّ جوهر الحياة المجّاد. فكّل ذات هي جوهر الحياة المرد.
(ص. ١٢٦)

بناء على الاقتباس أعلاه، يريد جبران وصف "كشف"، وهو
الكشف عن الحجاب الذي يجعل الرؤية الداخلية أو البصيرة مشرقة.
أي، إذا أغمض بصر وفتح بصيرة يمكن أن يسبب للشخص رؤية
روحية مشرقة وحية، وبالتالي يمكن أن يشهد جوهر الحياة المجرد. إذا
أصبحت البصيرة المبين، فسيكون قادراً على رؤية جوهر الحياة كله،

وكذلك المدينة المحجوبة إرم ذات العماد، وكذلك حقيقة المكان والزمان ، فضلاً عن الحقيقة حول بداية الوجود ونهايته.

من خلال إعادته، يعلم جبران أنه في الجوهر، كل إنسان أن يتشوق ثم يتشوق ثم يتشوق حتى يفتح الله الحجاب له ليتمكن من رؤية أعمق أسرار، يعني إذ ذاك ذاته الذي يوجهه إلى أعمق طبيعة الحياة.

٣. وحدة الوجود

وبناء على خبرتها، وتوضح آمنة أن الحقيقي، إرم ذات العماد كان قريب، ويمكن حتى العثور عليه في الذات وعلى شكل الوجود. كما الحوار التالي.

العلوية : كل ما في الوجود كائن في باطنك وكل ما في باطنك موجود في الوجود. وليس هناك من حد فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها أو بين أعلاها وأخفضها أو بين

أصغرها وأعظمها. ففي قطرة الماء الواحدة جميع أسرار البحر،
وفي ذرة واحدة جميع عناصر الأرض. وفي حركة واحدة من
حركات الفكر كل ما في العالم من الحركات والأنظمة. (ص).

(١٢٦-١٢٧)

الحوار أعلاه يدل على وحدة الوجود. وفقا لأحمد أمين، وحدة
الوجود هو في الواقع الطبيعة والله شيء واحد. قام محمد يوسف
موسى بعمل قيود على وحدة الوجود، أي أنه لا يوجد وجود إلا
وجود الله تعالى. وبالفعل كل ما هو ممكن هو تجلي الله الموجودة في
كل هذا العالم، ليس على جزئيا أو جزئيا الآخر. ثم ليس هناك كل
ما هو ممكن إلا تجلي الله سبحانه وتعالى. إذا كان الله غير موجود،
فلا يوجد عالم.^{٨٣}

⁸³ Asmaran As, *op.cit.*, hlm.172

جبران يريد وصف مفهوم واحدة الوجود. من خلال هذا الاقتباس، " كل ما في الوجود كائن في باطنك وكل ما في باطنك موجود في الوجود. وليس هناك من حد فاصل بين أقرب الأشياء وأقصاها أو بين أعلاها وأخفضها أو بين أصغرها وأعظمها". يعترف جبران بأن هذا الواقع هو واحد. الذي يبدو كثيرًا ١ - يعني كل ما خلق الله هو مجرد صورة لشكل الوحدة، وما يبدو أن هذا هو مظاهر الوجود الفعلي، أو بعبارة أخرى أن الخلق كله هو انعكاس يعكسه عليه "مرآة" الله.

٤. وحدة الأديان

جبران في الدراما إرم ذات العماد عبر عن آرائه حول مفهوم وحدة الأديان من خلال حوار آمنة العلوية. كما الحوار التالي.

زين العابدين : أصبت وليس بين البشر أدري بالوحدة الدينية
المجردة من آمنة العلوية، . . . (ص. ١٢٠)

العلويّة قل لا إله إلاّ الله ولا شيء إلاّ الله وكن مسيحيّاً. (ص).

(١٢٨)

يقصد بهذا الحوار مفهوم وحدة الأديان. بالنسبة لجبران، كل الأديان الموجودة في جوهرها هي واحدة، لأن كل منها لهما نفس الهدف، أي الاعتراف بالربّ والعبادة، ربّ العالمين، ربّ كل الديانات. يعتمد هذا الرأي على نتائج الفكر والتأمل وفهم الوجود (وحدة الوجود) التي ترى أنه لا توجد أشكال أخرى غير واحدة والمطلق (الله)، أوجاد أخرى ليست سوى مظاهر أو مرايا (تجلي) من الوجود المطلقة.